الفصل الثاني

الرؤية السياسية

المبحث الأول: الموقف من الديمقراطية الغربية ونظم الحكم

المبحث الثاني: تصوير وضع الأقليات

المبحث الثالث: رصد المذاهب السياسية في إطار السيرة الذاتية.

المبحث الأول

الموقف من الديمقراطية الغربية ونظم الحكم

عهد التحولات الكبرى:

لما كانت هذه الدراسة تمتد من الفترة الزمنية الميلادية بين عامي (١٨٠٠- ٢٠٠٠م)، كان لابد من النظر إلى تحول جوهري حدث قبيل القرن التاسع، تحديداً في العام ١٧٨٩م، ألا وهي **الثورة الفرنسية** التي قامت كنتيجة حتمية لتسلط النظام الإقطاعي والطبقة الأرستقراطية، لاسيما الحاشية الملكية الفاسدة، إضافة إلى عدم مبالاة أو مقدرة الملك لويس السادس عشر على قيادة البلاد بحزمٍ وحكمة. وقد ساءت الأحوال الاقتصادية إلى درجة مُروعة، فانتشرت المجاعات المهلكة وكثرت الضرائب الجائرة، حتى صارت أمنية الفرد من الشعب "الحصول على قوت يومه الذي لم يكن يضمن الحصول عليه دائماً، فضلاً عن قيام الفتن في المدن والأقاليم"[١]، فقامت هذه الثورة على أكتاف المغلوبين من أفراد الشعب في مخاضٍ تاريخي شاق وعسير، وكانت المجريات فيها تسير لصالح الطبقة المغلوبة، وهي الفئة الكبرى في البلاد. فلما انتصرت الثورة وثبتت قواعدها، كان ذلك إيذاناً بميلاد عهد جديد، ليس في فرنسا فحسب، بل في سائر أوربا والعالم بعد ذلك.

---

(١) تاريخ أوربا والأمريكتين، محمود السيد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠١م، ١٩

وقد حرصت الثورة الفرنسية بادئ ذي بدء على إعـــلان مبـــادئ حقوق الإنسان، فالناس متساوون في "الحريـــة والملكيـــة والاطمئنـــان ومقاومة الطغيان"[١] ونادت الثورة بمبدأ فصل السلطات، فـــلا تتعـــدى سلطة على سلطة أخرى، بغضّ النظر عمّن يمثلها اجتماعياً.

وبطبيعة الحال، لم تنجلِ الغمة السوداء عن فرنسا بقيام هذه الثورة بين عشية وضحاها، ولم يكن السير على طريق العدالة والمساواة مُمهداً ومهيأً؛ نظراً لحداثة التجربة الديمقراطية آنذاك، ومعارضة بعض فئـــات المجتمع، لاسيما العليا منها على وجه التحديد.

وقد سارت أوروبا على طريق الديمقراطية شيئاً فشيئاً، وبالإضافة إلى قيام الثورات الصغيرة هنا وهناك في أرجاء أوربا، للمطالبة بحقوق السواد الأعظم فيها، وهم الشعوب، كان هناك مجال آخر لتدعيم أركـــان الديمقراطية وتعزيز مكانتها في المجتمع الأوروبي، ألا وهو قيام النهضة الصناعية[٢] في أواخر القرن الثامن عشر، ذلك أنـــه وبعـــد اســـتتباب الأوضاع السياسية وانتشار الأمن والهـــدوء، قامـــت بـــوادر النهضـــة الصناعية، ومن البدهي أن تدور عجلة هذه النهضة بمحركين أساســـيين وهما: رؤوس أموال الفئات الغنية سواء كأفراد مستقلين أو كمجموعات

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩.
(٢) للاطلاع على مُسوغات النهضة الصناعية في أوروبا.
ينظر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، شوقي الجمل وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د،ت)، الفصل السابع.

متحدة لإنشاء المصانع والشركات التجارية، والأساس الآخر كان فئة العمال.

ونتيجة لذلك قامت الأنظمة والفلسفات المتنوعة لأصحاب رؤوس الأموال من ذوي الميول الرأسمالية، وللعمال ذوي الميول الاشتراكية المنادية بتقاسم موارد الثروة.

وقد تكاثرت نقابات العمال المنادية بحفظ حقوقهم. ولم يرض أصحاب المصانع بهذا الأمر في بدايته، إلا أنهم رضخوا في نهاية المطاف، واعترفوا بمطالب النقابات العمالية وحقوق العمال، في عملية عززت النظام الديمقراطي بين الطرفين، فكان قيام النهضة الصناعية من أقوى أسباب انتشار الديمقراطية فيها. وتختزل مشاهدات المرتحلين للغرب صوراً غزيرة من وجوه الديمقراطية الحسنة، ومن أقدم هذه المشاهدات ماذكره رفاعة الطهطاوي في أثناء فترة إقامته بفرنسا، فذكر بأنه – بالرغم من وجود الملك الممثل لأعلى سلطة في البلاد – فإنه ليس مطلق التعرف من ذاته، بل يلتزم بقوانين يعمل وفق أحكامها، مما يرضي عنه أهل الرأي والمشورة من نخبة الوزراء وكاتمي أسرار الدولة.

وقد ضمن القانون أن "لا يُمنع إنسان في فرنسا من إظهار رأيه، وأن يكتبه ويطبعه، بشرط أن لا يضر ما في القانون، فإن ضرّ أُزيل"[1]

(١) تخليص الإبريز، ١٠٧.

وكل إنسان في فرنسا "يتبع دينه الذي يختـــاره يكـــون تحـــت حمايـــة الدولة"[١].

وقد أسهب الطهطاوي بالحديث عن السياسات والحقوق والقوانين بصورة تُشعر من يقرأها بأنه من الصعب- أو ربمـــا المســـتحيل- أن تكون تلك السياسات الحكيمة خلاصة جهود عقلية علمانية بحتة، بعيـــدة عن الدين أو متأثرة به بشكل أو بآخر.

ورغم ما ذكره من أن غالب تلك القوانين والأحكام ليســـت مـــن كتاب الله تعالى أو سنة نبيه، بل خلاصة ورأي حكمائهم،فإنه بعد ذلك لا يستبعد أن تكون بعض قوانينهم لها أصل من الشريعة[٢].

ومما لا شك فيه أن للسياسة أهميتها القصوى في تحريك وتيـــرة الأحداث في المجتمع الغربي، ويُسهم الفرد الواحد، والمجموعـــة مـــن الناس في رسم الحياة السياسية بدرجة ملموسة

والسياسة الغربية المعاصرة قائمة على نظام برلماني حر، حيـــث يقوم الشعب بانتخاب أعضاء البرلمان في انتخابات عامة.

وبعد ذلك يتولى نواب البرلمان في هذه البلدان تمثيل الشعب فـــي المطالبة بكافة حقوقهم في شؤون الحياة.

---

(١) المصدر السابق، ١٠٦.

(٢) وذلك عند حديثه عن الحقوق المالية للدولة على المواطنين كالجبايات والمكوس ونحو ذلك، انظر تخليص الإبريز ١١٦

وتحدث الكاتب **أحمد عطية الله**[1] عن البرلمان الإنجليزي في أثناء رحلته إلى لندن، فذكر أنه في كل يوم سبت يفتح البرلمان أبوابه للجمهور؛ لكي لا يُحرم الشعب حقه في المعرفة والدراسة فيما يدور وراء هذه الجدران العالية من شؤون هامة[2].

ويكاد يمر التاريخ أمام نظر الرائي لهذا البرلمان من ذكريات الساسة الذين بنوا هذه الإمبراطورية بخططهم، ومعاهداتهم ودسائسهم، ويكاد يسمع خطب الخطباء الذين كانت ترن أصواتهم في جدران القاعات[3].

هذه الصورة تمثل التاريخ الإنجليزي، والمواقف التي كان فيها الملوك ينزلون عند رغبات الشعب، ويرضخون لمطالبه.

فهذا البرلمان صورة للبرلمانات الغربية على اختلاف تفاصيل تاريخية وسياسية بين كل دولة ودولة.

---

(١) أحمد عطية الله (١٩٠٦- ١٩٨٣) ولد في مدينة أسوان، ودرس في مدرسة المعلمين العليا. ثم ابتعث إلى انجلترا ليدرس تخصص الفلسفة وعلم النفس، وعاد من رحلته مبهورا بالتقدم العلمي والحضاري في أوروبا، وعمل في مجال الرقابة على الصحافة والنشر، ثم مستشارا ثقافيا لمصر في النمسا ، كتب مؤلفات متنوعة في الرواية والقصص وأدب الأطفال وأدب الرحلات والترجمة.
مؤلفاته: القاموس الإسلامي – يوم في أوروبا – لندن.
انظر منتدى: ملتقى الأدب والمبدعين العرب.
(٢) انظر: لندن، أحمد عطية الله، مصر، ١٩٣٤م، ص٦٣.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٦٨.

ولكن يراعى أن حكم الأغلبية له وزنه وتأثيره، سواء في دخـــول البرلمانات، أو في اتخاذ القرارات المصيرية الحاسمة.

*****

والحقيقة أن مجريات السياسة في دول الغرب، تعاورتها أحـــداث تاريخية جسام لا مجال لذكرها هنا؛ لأننا لسنا في استعراض تـــاريخي مفصل لدول أوروبا وأمريكا، بقدر ما نريد لمحة سياسية شاملة للعـــالم الغربي.

ولقد تشكل العالم الغربي والعربي كذلك بعـــد انتهـــاء الحـــربين العالميتين الأولى والثانية، وعقد مؤتمرات ومعاهدات واتفاقيـــات، بعـــد سيطرة الدول الكبرى المنتصرة، وهي الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة، وبريطانيا، وفرنسا، حيث تقاسمت الدول المغلوبة المتحالفة مع ألمانيا.

وعقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وزوال الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، انفردت الولايات المتحدة بالسلطة العالمية، لذلك رأت أوروبا أن تعمل على توحيد قواها وجهودهـــا، فاتجهـــت لتكـــوين الاتحاد الأوروبي، وإنشاء قوة عسكرية خاصة بها، ووحـــدت عملتهـــا الرئيسة لتصبح اليورو.

وكل هذا لعمل التوازن في موازين القوى العالمية، بعـــد هيمنـــة الولايات المتحدة على النفوذ العالمي، وتطور الصناعة فيها، حيث بلغت

إيراداتها من وراء الصناعة في أواخر الثمانينات مبلغاً قياسياً، وصل تسعين ملياراً من الدولارات، وتوفرت للصناعة إمكانات السرعة في تطوير الأبحاث، وسيطرت الشركات المتعددة الجنسية على المبادلات النفطية[1].

(١) انظر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص١٨٢.

المبحث الثاني

تصوير وضع الأقليات

١- الهنود الحمر:

في كل مجتمع من المجتمعات المدنية، هنالك أقليات تحمل ثقافتها وانتماءها الذي يتفاوت بإحدى الصور المنسجمة، أو المتناقضة، أو المتذبذبة مع الوطن الأم الذي تعيش فيه، وليس شرطاً أن هذه الأقليات جاءت وافدة من بلادها إلى البلاد الغربية، بل قد تكون حالها كحال الهنود الحمر في أمريكا، فهم أهل البلاد الأصليون، ولكن مزاحمة الوفود الأوربية النازحة لأرضهم، جعلتهم أقلية في وطنهم، وقد أشار الكاتب **محمد علي**[١] إليهم في أثناء رحلته لأمريكا في بدايات القرن الميلادي الماضي.

وقد وصف سوء أحوالهم المعيشية، فالأراضي التي يعيشون فيها أراض رطبة، و بها كثير من المستنقعات المسببة للأمراض المعدية، وهم من شدة فقرهم يستعملون في زراعتهم الأدوات الزراعية القديمة، فلا يجنون ثمرة أتعابهم إلا بكل مشقة، وأكثرية هؤلاء الهنود يعملون وتعمل بعض نساء الهنود في صناعة المصنوعات المعدنية، مثل

(١) الأمير محمد بن علي توفيق بن إسماعيل نجل إبراهيم باشا، وحفيد محمد علي الكبير، ولد سنة ١٨٧٥م، وتعلم تعليماً عالياً، وأتقن عدة لغات، تولى ولاية العهد مرتين، عاش بقية حياته في سويسرا، وتوفي سنة ١٩٥٥م، في مدينة لوزان، ودفن في القاهرة ، له عدة مصنفات عن رحلاته، مثل: الرحلة الشامية، الرحلة اليابانية، الرحلة الأمريكية.
انظر ترجمته في مقدمة كتابه: الرحلة الأمريكية.

الأقراط والأساور والقلائد المميزة لتراثهم، وبيعها على السياح كتـــذكار لهم عند عودتهم[١].

وذكر الكاتب أيضاً أن الهنود لا ثقة لهم بالرجل الأبـــيض؛ لـــذلك يعتبرون سرقته أمراً مباحاً، فكل ما في يديه حلال لهم بنظرهم، مع أنهم يلتزمون الصدق في المعاملات مع بعضهم بعضاً[٢].

٢- الصينيون:

هذا ما كان عن أحوال الهنود الحمر، وقد ذكر الكاتب كذلك أقلية أخرى تعيش في أمريكا، وهي الأقلية الصينية، ويبدو أن أحـــوال هـــذه الأقلية لا تختلف من حيث الفقر والتعاسة عن أحوال الهنـــود، ويلتـــزم الصينيون بكثير من طرائق عيشهم بما كان عليه أسلافهم القـــدامى، لا سيما في مجال المعالجة بالأدوية التقليدية المعروفة عندهم[٣]. وأكثـــرهم يعيشون في غرف ضيقة تحت الأرض، ويكثر بينهم المنجمـــون الـــذي يدعون علم الغيب، ويكثر عندهم أيضاً تناول الحشيش والأفيون، حيـــث يضرب الجهل والفقر بأطنابه فيهم، ويتراوح عددهم في زمن الكاتب، ما بين عشرين ألفاً وأربعين ألفاً، ولهم أحياء خاصة بهـــم اشـــتهرت بـــين الأمريكيين باسم المدينة الصينية.

---

(١) انظر: الرحلة الأمريكية، ١٠٤.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٠٥.
(٣)انظر: المصدر السابق، ١٤٥.

ولا يبدو أن هنالك فرقاً إيجابياً بين حال الأقليات في بداية القرن، وحالهم في فترة السبعينات، حيث ذكرت الكاتبة رضوى عاشور أن الأقليات في أمريكا تواجه شتى المشاكل المرتبطة بالفقر والبطالة، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي، والثقافي، فهم يعيشون في أسفل السلم الطبقي والعنصري(١).

******

لقد استطلعت من الميول الشخصية لبعض كاتبي السيرة عند حديثهم في هذا الجانب، ففي رحلة رضوى عاشور إلى أمريكا تصوير لبعض ملامح هذا الجانب، مثل إشاراتها المتعددة لتاريخ السود في المجتمع الأمريكي، وتحولهم إلى فئة مسلوبة الحقوق في كثير من الأحيان، أو حتى تاريخ الهنود الحمر، وكيفية ترويض المستعمر الأبيض لهم، ودحرهم في كيانات متناثرة محدودة العدد والتأثير.

ومع أن الكاتبة كتبت بطابع متعاطف واضح مع هذه الفئات وأمثالها في المجتمع، فإنها صورت في ذات الوقت كفاحهم لنيل المساواة والحقوق المدنية مع الرجل الأبيض نداً بند(٢).

---

(١) انظر: الرحلة، رضوى عاشور، ١٤٨.

(٢) إن مناخ الرأي العام السائد في العالم يقرّ المساواة العرقية، ولكن ما زالت هناك مخلفات بقايا الفصل العنصري في أمريكا، وبعض دول أوروبا، وإن نجاح حركة الحقوق المدنية للسود، شجع قيام أنشطة مماثلة لدى الشعوب الأخرى، من أصول لاتينية وآسيوية وغيرها من الأقليات. انظر: دور المواطن السياسي في الديمقراطيات الغربية، رسل دالتون، ترجمة: أحمد يعقوب. دار البشير، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٦م، ١٢٩- ١٣١.

ونستطيع أن نفهم أسباب تعاطف الكاتبة مع هـذه الفئـات مـن بورتوركيين وهنود حمر وزنوج وغيرهم مـن الوافـدين، والنـازحين لأمريكا من البلدان الفقيرة، حيث تتقاسم رضوى مـع هـؤلاء الـدوافع والمبررات للحنق على السياسات الأمريكية الإمبريالية، وتقارنهـا بمـا يحدث لبعض دول العالم المغلوبة على أمرها، والمقهورة مـن جـراء السياسات الأمريكية كشعب فيتنام مثلاً، وما حدث لأمريكا من عواقـب وخيمة بعد التدخل الأمريكي فيه، أو مأساة الشعب الفلسطيني الذي كانت كثيراً ما تستحضر صور مذابحه السوداوية الكئيبة، وتشتت أبنائه فـي أرجاء المعمورة.

ولأن زوجها فلسطيني وناشط مثقف من نشطاء النضال، نستطيع أن نضيف سبباً قوياً؛ لتعاطفها الواضح مع الشعب الفلسطيني.

ومن حيث تصويرها لواقع السياسة الأمريكية، نراها تصفها كثيراً بالادعاء والنفاق، كقولها بعد سقوط سايجون عاصمة فيتنام فـي أيـدي الثوار، وسقوط العلم الأمريكي فيه، الهزيمة الشنعاء التـي مُنـي بهـا الأمريكيون في فيتنام، ثم نقلت وكالات الأنبـاء خبـر طـائرة النقـل الأمريكية التي حملت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عدة مئـات مـن الأطفال الفيتناميين إنقاذاً لهم مما لحق ببلادهم، وجلس الأمريكيون أمام شاشات التلفزيون يتابعون في نشرة أخبار السابعة مساء الرئيس فـورد، وهو يستقبل الأطفال في المطار، ويحمل بين ذراعيه طفلاً رضيعاً مـن

بين ركاب الطائرة. والمؤكد أن رجالاً ونساء عديدين ممن يسكنون إلى الوهم الأمريكي المسمى حلماً، قد مسحوا دموعهم سراً، أو على مرأى من الآخرين، أمام هذا المشهد الذي يمس شغاف القلوب، ويؤكد الإحسان الأمريكي، والمؤكد أيضاً أن العديدين ممن يعون الطبيعة الكابوسية للحلم، أو يعيشون خارج سياقه، قد تابعوا المشهد بمزيج من الارتياح والمرارة، وهم العارفون بالبئر وغطائها، وقد يكونون ضحكوا ساخرين من تمثيليات التسامي الوطني، أما عن الوافدين من أبناء وبنات العالم المجلود بالسوط الإمبريالي، فلم يكن خبر التحرير، ورفع علم الثوار على سايجون، مجرد خبر مفرح تمنيناه، وتناقلته وكالات الأنباء يوماً فتحققت الأمنية، بل كان الأمر يخصنا ويدخل في صلب حكايتنا وتاريخنا مستقبلاً، يؤكد لنا أن ما نراه ونعتقده ونقوله ونتوقعه ونعد له في نهاية المطاف، ومهما بدا غير ذلك، هو الصحيح الذي لا يصح سواه.

"كان العلم الإمبريالي قد سقط، وكنا قد شاهدنا كيف"[1].

والكاتبة في هذا المشهد تؤكد اعتقادها بضرورة الكفاح على مختلف الأصعدة والمستويات؛ لاسترداد الحقوق المسلوبة، حيث في آخر المطاف لا يصح إلا الصحيح.

(١) الرحلة، ١١٥.

وكيف ذلك؟ إنها تشير إلى دور الفيتناميين الثوار، في دحر الغطرسة الأمريكية، وتحرير البلاد، وتدعو إلى تمثل هؤلاء الثوار كنموذج إنساني حي؛ لتحرير الإنسان والشعوب من أي تدخلات أجنبية مهما بلغت قوتها.

- الزنوج:

في الحقيقة إن الزنوج ليسوا أقلية في الغرب، بل يمثّلون شرائح عريضة ضاربة في القِدم في نسيج التكوين الاجتماعي هناك. ولكن البواكير الزمنية لهذه الدراسة التي تبتدئ من العام الميلادي ١٨٠٠م، تفرض تناول فئة الزنوج كأقلية، إذا نظرنا لها منذ بدايات وجودها في الغرب.

وقد يكون من المفيد توضيح أن السود في الولايات المتحدة الأمريكية لم ينالوا حقوقهم إلا في النصف الثاني من القرن الميلادي السابق. تحديداً في عام ١٩٦٤م عندما وقّع الرئيس الأمريكي لينـدون جونسون على هذا القانون الذي غيّر وجه الحياة في أمريكا[١].

وقد واجه تطبيق هذا القانون صعوبات ورفض في بدايات إقراره، لصعوبة تغيير الواقع المعاش منذ مئات السنين، وكان لاغتيال **مارتن**

(١) انظر: المسلمون السود في أمريكا، - القصة الكاملة، محمد عبده يماني (د.ن)، ط الأولى، ١٤٢٧هـ، ٣٢٧.

لوثر كنج[1]، داعية الحقوق المدنية عام ١٩٦٨م دور كبير لاستكمال هذا القانون الذي صدر بداية عام ١٩٦٤م، وتمّ تفعيله بهدف لجم غضب وثورة ملايين السود إثر فاجعة الاغتيال.

نعم، لقد غيّر هذا القانون صورة الحياة الاجتماعية في الولايات المتحدة تغييراً جذرياً، فلم يعد بالإمكان منع السود من دخول الفنادق أو المسارح أو دور اللهو والتسلية والمطاعم، وأصبحت المدارس تستقبل التلاميذ السود مع البيض[2]، فقد ذهب وقت التمييز العنصري في كافة مرافق الحياة.

ومن البدهي أن يلاقي تطبيق هذا القانون صعوبات جمة في أول الأمر من جانب شرائح متعددة من البيض، فلم يكن بالأمر الهين لديهم أن يجاورهم السود في الوظائف والمطاعم والمسارح ونحوها بعد قرون متتالية من الرق والاستعباد.

ومن المعروف أن الأكثرية السوداء توجد في النصف الجنوبي للولايات المتحدة أي في الولايات الجنوبية، بعكس الولايات الشمالية مركز وجود البيض.

---

(١) مارتن لوثر كنج: (١٩٢٩- ١٩٦٨م) المناضل الأمريكي الأسود زعيم حركة الحقوق المدنية، بدأ كفاحه منذ الخمسينات حتى آخر يوم في حياته عندما اغتيل عام ١٩٦٨م.
أسهمت حركته في إنهاء التفرقة العنصرية ضد السود في الولايات المتحدة، وحصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤م، اشتهر بخطبته الشهيرة في الجماهير (لدي حلم).
= انظر ترجمته في: المسلمون السود في أمريكا
القصة الكاملة، ٣٢٣.
(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٢٨.

وعندما بدأت هجرات السود إلى الولايات الشمالية في أوائل القرن الميلادي الماضي، وتكاثر عدد السود المرتحلين نحو المدن الشمالية الفارهة ذات النشاط التجاري المتزايد والأضواء البراقة في أوائل الخمسينات ظهرت ظاهرة "هروب البيض" [١] إلى ضواحي المدن، وهي الأطراف الخارجية للمدن، فلم يقبل البيض أن يكون السود جيراناً لهم، لم يتقبلوا الأمر، فبدأوا يبيعون منازلهم مع تكاثر الجيران السود، ليقطنوا في ضواحي المدن.

إن عملية الدمج الاجتماعي بين الإنسان الأسود والإنسان الأبيض لم تكن بالأمر اليسير، بل مرّت بمراحل شاقة ومريرة، ويذكر عبد الوهاب المسيري حادثة جرت لصديقه الأمريكي الأبيض فكتور "أخبرني فيكتور أنه في طفولته كان يعيش في حي لا يقطنه سوى البيض، وبالتالي كان لا يشاهد سواهم، وكان الإعلام الأمريكي يعبّر عن أحلام وآراء وواقع أمريكا البيضاء فحسب، ولذا كان من النادر أن تجد شخصية سوداء تلعب دور البطل في الأفلام أو البرامج التلفزيونية، لهذا حينما ركب فكتور حافلة ذات يوم، ووقعت عيناه على امرأة سوداء لأول مرة في حياته، توجه نحوها وبدأ يلعق يدها، ظناً منه أنها مصنوعة من الشيكولاتة. وكانت السيدة السوداء لطيفة فضحكت مما فعل، وضحك كل من في الحافلة"[٢].

---

(١) المرجع السابق، ٣٦١.
(٢) رحلتي الفكرية، ٢٣١.

وقد أوضحت هذه القصة الطريفة والمحزنة في نفس الوقت للدكتور المسيري مدى حدة الفصل العنصري في الولايات المتحدة قبل قيام حركة الحقوق المدنية.

وتعكس كثير من تصرفات البيض خشية وريبة من السود بشكل عام، وقد ذكر الكاتب محمد عناني، أنه عندما أراد استئجار منزل صغير، استأجره من رجل بريطاني أسود، وكان جميع من يعمل في مرافق المنزل من السود، وعلمت زميلة الكاتب البيضاء بذلك، فانطلقت في تحذيره من مغبة الحياة مع الزنوج وأخطارها، وروت له قصة عن جدتها تقول: "روت لي (جدتي) أنَ جدتها كانت لديها جارية سوداء واكتشفت الأسرة ذات يوم، أن لها ذيلاً قصيراً، فتأكد لهم أنها (غولة) وسرّحوها خوفاً على أطفالهم منها"(١).

وقد كان الكثير من البيض من أرباب العمل يرفضون تشغيل السود، أو حتى استئجارهم للمنازل رافعين شعار "لا نقبل السود" (٢).

ومعاناة السود في المجتمعات الغربية غنية عن الذكر، بل والملونون كذلك. وقد حدث في حقبة التسعينيات الميلادية ١٩٩١م حادثة لمواطن أمريكي أسود يُدعى (رودني كينج) في السادسة عشر عاماًمن عمره، حيث تسلّط عليه رجال الشرطة البيض بمدينة لوس أنجلوس

(١) واحات الغربة، ٣١/٢.
(٢) المصدر السابق، ٢٩/٢.

بسبب مخالفة مرورية بسيطة، وأشبعوه ضرباً ولكماً، وقد صوّر الحادثة سائح من فندق قريب لموقع الحادث، ولم يعاقب أفراد الشرطة البيض بل برأتهم المحكمة، مما أدى إلى اندلاع أسوأ موجة عنف وشغب ونهب وتخريب ممتلكات في تاريخ لوس أنجلوس مطلع ربيع ١٩٩٢م[١].

٤- اليهود:

يوجد اليهود بكثرة في أمريكا، كما في أوروبا، وقد تحدث عنهم عبد الرحمن بدوي في سيرة حياته، وعن واقع حياتهم في بلدين أوروبيين، وهما ألمانيا وسويسرا، حيث ذكر أن نفوذهم في ألمانيا متزايد في كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والفن والإعلام[٢]، مما جعل الألمانيين المخلصين يضيقون ذرعاً بهذا الوضع، لا سيما وأن عدد الألمان في ذلك الوقت – الربع الأول من القرن الماضي- حوالي ستين مليون ألماني، بينما مجمل عدد اليهود فيها نصف مليون فقط، ومع ذلك تتحكم هذه الأقلية اليهودية بخيرات ألمانيا في ذلك الوقت[٣]؛ لذلك انتشرت الدعاوى لترحيل اليهود من ألمانيا، مع كافة ما يحملون من ثروات، ويشير الدكتور بدوي بأن أبسط قواعد العدالة والواجب كانت

---

(١) انظر:
موقع: بي بي سي الأخباري.
(٢) انظر: سيرة حياتي: ١/ ٨٦.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٨٨+ ٨٩.

تقتضي على كل ألماني حر الضمير أن يتخلص من سلطان هذه الأقلية. وقد تنامت مشاعر كراهية الألمان لليهود، وهذا ما سهل انتشار وازدهار الحركة النازية ضدهم، واستغلت هذه الحركة سلسلة الفضائح المالية التي كان اليهود متورطين وضالعين فيها[١].

ويبدو أن وضع اليهود في أوروبا متشابه على أساس النظر لهم كأجانب مكروهين، بخلاف وضعهم الجيد في أمريكا حيث تختلف تماماً النظرة لهم، وقد ذكر الدكتور بدوي عنهم أنهم حتى أواخر السبيعينات لم يحققوا تقدماً في الانصهار في بنية المجتمعات الأوروبية، وحتى لـــدى الشعب السويسري مثلاً، والمعروف بتسامحه في مجال الأديان، حيـــث نجد مختلف الملل والنحل، ومع ذلك لا يحب السويسريون اليهود، ويعمل المسؤولون السويسريون على إبعاد اليهود من دوائر السياسة والاقتصاد؛ لذلك لا أثر لليهود في سويسرا في السياسة والاقتصاد [٢].

(١) انظر: المصدر السابق ، ٢٦٦.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٦٦.

المبحث الثالث

رصد المذاهب السياسية في إطار السيرة الذاتية

تحدثت بعض السير الذاتية عن المذاهب السياسية في المجتمعات الغربية وتأثيراتها في جوانب هذا المجتمع.

لا بد لي من ذكر الحقبة الزمنية لمجال هذه الدراسة،حقبة كان فيها الغرب وخاصة أوروبا، ممتلئاً بأطياف المذاهب السياسية بشتى توجهاتها، فقد خاضت الدول الأوروبية تجارب مذهبية متنوعة، كالتجربة الفاشية في إيطاليا بقيادة موسوليني، والتجربة النازية في ألمانيا بقيادة هتلر على سبيل المثال(١).

وفي هذا الجانب نجد فيما ذكره **يحيى حقي**(٢) عن تجربته المثيرة في معايشة تحول تركيا المسلمة إلى دولة علمانية، والحقيقة أن الكاتب

---

(١) كانت لموسوليني شعبية مزدهرة في إيطاليا، وتوسعت أحلامه باستعادة روما لأمجادها القديمة في صنع الإمبراطورية الأسطورية من جديد، لا سيما بعد احتلال إيطاليا لليبيا والصومال وأرتيريا والحبشة، وكان له طمع في احتلال مصر والسودان وتونس، ولكن طموحاته التوسعية كانت مجرد أحلام، فعندما عُقد مؤتمر الصلح خرجت إيطاليا بدون أية غنيمة، فكان أن تحالف موسوليني مع هتلر ضد إنجلترا وفرنسا وروسيا عام ١٩٣٩م.

(٢) يحي حقي: (١٩٠٥-١٩٩٢م) الكاتب والأديب والدبلوماسي والسفير، درس في كلية الحقوق وتخرج منها. آثاره الأدبية غزيرة ومتنوعة، تميز أسلوبه بالعمق والسهولة، والتمكن من الناصية البيانية، اشتهر بكتاباته القصصية والمقالية وكتابات أخرى في مجال الرواية والنقد الأدبي والفني، أتقن اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والتركية وغيرها، عاصر التحولات السياسية المهمة العربية والعالمية مثل ثورة ١٩١٩م وسقوط الخلافة الإسلامية ١٩٢٤م والحربين العالميتين الأولى والثانية ١٩١٤م، ١٩٤٥م وقيام الكيان الصهيوني ١٩٤٨م وعام النكسة ١٩٦٧م، وحرب أكتوبر ١٩٧٣م وغيرها من الأحداث السياسية المهمة والتحق بالسلك الدبلوماسي فترة طويلة. قلمه رشيق وكتاباته متنوعة المضامين.

عاصر مرحلة من التحولات والتجارب في أغلب الدول الأوروبية، وسأقتصر على ما ذكره عن حياته في عهد تحول تركيا من دولة إسلامية إلى أخرى علمانية، وعهد مصطفى كمال أتاتورك الذي ألغى تطبيق الشريعة وأبدلها بالقانون السويسري، واستبدلت الحروف العربية باللاتينية، وطبع القرآن الكريم بالأحرف اللاتينية كذلك، وحظر المظاهر الإسلامية أو الشرقية الصميمة في كافة شؤون الحياة، فمنع لبس الطرابيش والعمائم، حتى إنه أمر بشنق رجل تركي لأنه لبس العمامة بدلاً من القبعة، فقد كان أتاتورك مبغضاً لكل ما يمت للإسلام بصلة، وقد حوّل مسجد أيا صوفيا إلى متحف، وكان يريد تحويله إلى كنيسة؛ وذلك لنفوره من المظاهر الإسلامية والطرق الصوفية المنتشرة في تركيا.

وقد جمع أتاتورك في محاربته للدين الإسلامي بين الحكمة والدهاء، وكان يعلم عظم شأن الدين في الأناضول، فذهب إليهم "وأخذ يحضن ويُقبّل جميع المشايخ وجميع رجال الدين؛ لأنه يعلم أن هؤلاء هم السلطة الفعلية، ولعله كان يقول في سره: انتظروا عليّ"[1].

ولكن هل استطاع أتاتورك تحويل تركيا إلى العلمانية قلباً وقالباً؟

= انظر:
– مقدمة كتابه: فجر القصة المصرية، يحي حقي.
– ذكريات مطوية، يحيى حقي، دار سعاد الصباح، الكويت، (د.ت).
(١) ذكريات مطوية، يحيى حقي، ٩٠.

ربما تحقق ما يصبو إليه ظاهرياً، ولكنه لم يتغلغل إلى أكثر من ذلك.. "فالشعب التركي شعب مسلم محب للإسلام، والمساجد فيها مزدحمة بالناس رجالاً ونساء، وقد زرت ريف تركيا، فوجدت جميع الأتراك متدينين أكثر وأكثر" (١).

والحقيقة أن تحول تركيا إلى العلمانية تجربة مؤلمة ومريرة لكل مسلم غيور، ولست في صدد محاكمة صورية لما فعله أتاتورك، وأكتفي بالقول بأن ما فعله جريمة لا تغتفر في حق الإسلام والمسلمين.

إن الجيش هو القوة الحاكمة الفعلية في تركيا، فهو الذي احتضن مبادئ أتاتورك، وجاهد لتحقيقها، فتركيا دولة علمانية ملحقة بالعقلية الأوروبية، ليس لها شأن بالعرب ولا بالمسلمين(٢).

وتعرض **أحمد أمين**(٣) كذلك في سيرته (حياتي) لنفس الموضوع السابق، وهو الانقلاب الخطير في تركيا، في إلغاء الخلافة والسير في ركاب المدنية الغربية.

---

(١) المصدر السابق، ١٨٨.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٣.
(٣)أحمد أمين: ابن الشيخ إبراهيم الطباخ (١٨٧٨- ١٩٥٤م) عالم بالأدب ومتعمق في التاريخ، درس العلوم الشرعية بالأزهر، ثم عمل في مجال التدريس فمجال القضاء، وتحول بعد ذلك إلى التعليم الجامعي مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية فعميداً لها. وتولى بعد ذلك ا =

وقد أُتيحت لأحمد أمين فرصة التعرف على تركيا من خلال عمله بالجامعة المصرية التي هيأت له ولأستاذ آخر[1] السفر لتركيا ؛للتعرف على البلاد وأهلها، ومطالعة كتب المكتبات الشهيرة، لاسيما في مجال الجغرافيا.

فذهب أحمد أمين مع صديقه، وتجول في ربوع تركيا في مدنها وضواحيها ومكتباتها ومساجدها العريقة، في رحلة ممتعة دامت أربعين يوماً، ورأى بعينه آيات الفخامة والسلطنة في قصور السلاطين والأمراء وشاهد قصر يلدز مقر آخر خلفاء بني عثمان السلطان عبد الحميد الثاني.

وقد أُعجب أمين بخلقين في الأتراك: النظافة والهدوء.

فالإنسان التركي محافظ على نظافة مظهره ومنزله ومتجره مهما كان وضعه الاجتماعي "فقد تدخل بيت الفقير الذي يعيش أكثر أيامه على البقول الجافة، فتراه قد فرش فرشاً بسيطاً ولكنه نظيف، وقد تفرش

=الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية إلى أن تُوفي. وقد كان عضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة وبغداد.

وكان أحمد أمين مُكثّراً في كتابة المقالات حتى بلغت مقالاته في الصحف والمجلات نحو عشرة مجلدات.

من أشهر مؤلفاته:

- فجر الإسلام.
- ضحى الإسلام.
- ظهر الإسلام.
- حياتي.
- الصعلكة والفتوة في الإسلام.

انظر: الأعلام ١٠١/١.

(١) وهو صديقه الدكتور عبد الحميد العبادي.

الحجرة بالحصير، ولكن لا يسمح التركي لنفسه ولا لضيفه أن يـــدوس عليها بنعله، وقد ركبنا القطارات والترام، وأكلنا في مطاعم المدينة على اختلاف أنواعها من الدرجة الأولى إلى الرابعة، وجلسنا فـــي مقـــاهي الصناع والحمالين، فما وجدنا في كل ذلك إلا نظافة يُحمدون عليها، أما هدوؤهم، فقد أمضينا أربعين يوماً لم نجد فيها نزاعـــاً فـــي شـــارع أو خصاماً في ترام، وتدخل المقهى مملوءاً بالناس، فإذا أغمضت عينيـــك حسبت أن ليس به أحد، فهم في الحق كما يقولون في هـــذين الأمـــرين إنجليز الشرق"[1].

وإنما يذكر هاتين الصفتين لانعدامهما –أو بالأصح لسوء حالهمـــا – في مصر، وهو يتمنى أن تكون بلاده في مصـــاف الـــدول النظيفـــة والهادئة، والنظافة بلا شك عنوان كل رُقي وجمال.

وقد استمد أحمد أمين معلوماته عن وقائع الانقلاب في تركيا من (علي فوزي بك) أستاذ خبير وهو أستاذ مصري من أساتذته القدماء في مدرسة القضاء، آثر العيش في تركيا والعمل فيها والاكتفـــاء براتـــب قليل متواضع، على أن يعيش في مصر، ويرى الحظوة في يد الغربـــاء من الإنجليز، وحتى اليونانيين[2].

(١) حياتي. أحمد أمين. دار الكتاب العربي، بيروت ط٣/١٤٠٦هـ، ٢٠٧.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٢١١.

وقد عايش هذا الرجل تركيا، ورآها تتحول تحولاً جذرياً سلمياً لتنتقل في فترة وجيزة من بلدٍ إسلامي مشرقي إلى بلدٍ غربي علماني.

وكان أكبر مظهر للانقلاب في تركيا سفور المرأة، وما أحدثه أتاتورك في هذا الجانب. ويبدو أن الدعوة للسفور لاقت ترحيباً عند عامة النساء، فقد رأى أحمد أمين جماهير النساء السافرات يتجولن ويتصرفن بحرية كاملة. وأوضح الأستاذ فوزي لضيفيه المصريين شدة تأثير الأوضاع في تركيا على مصر "وكثير من عادات المصريين وتقاليدهم مأخوذة عن تركيا، فإذا تغيرت تركيا يوشك أن تتغير مصر"[١] وتنبأ بحدوث انقلاب اجتماعي مماثل، وسفور المرأة المصرية على غرار نظيرتها التركية، وقد صدقت نبوءة الرجل.

ويلاحظ بأن سرعة تنظيم القوانين وتفعيلها كانت العامل الأساسي في تغيير وضع المرأة التركية؛ لتحظى بمساحات متزايدة من الحريات والمناصب والمساواة مع الرجل حتى في الميراث[٢]، وهنا مكمن الخطر، فالشريعة الإسلامية أعطت المرأة من المكانة والحرية والأهمية ما لم تعطها الأديان الأخرى والحضارات المختلفة، ولكن أن تُعطّل أحكام الله تعالى المنصوص عليها في القرآن الكريم والسُّنة المطهرة باسم المساواة التامة بين الجنسين، حتى في مجال الزواج والميراث

(١) انظر: المصدر السابق، ٢١٣.
(٢) انظر المصدر السابق، ٢١٣.

وغيرهما، فهذا مصدر الانتقاد الأساسي للسفور، والمساواة بين الجنسين على الطريقة التركية، أو بعبارة أدق: على الطريقة الغربية الحديثة.

على أنه من المهم توضيح أن هذا الانقلاب استهدف من ضمن ما استهدف إليه القضاء على معالم التخلف الحقيقية الشائعة في ذلك الوقت في كثرة المنجمين والعرافين والسحرة والمشعوذين. وشدة تأثيرهم على الناس، فقد قوي سلطان الصوفية والدراويش والمجاذيب، وعظم شـــأنهم بين الناس، وأصبحت لهم مزارات شهيرة في حياتهم وعقب مماتهم.

ولعل كراهية الدين تولدت من هذه الناحية، فقد صار المتصوفون هم وجهاء البلاد وأقطابها، يقصدهم الداني والقاصي لمعرفـــة الأمـــور الغيبية الخافية، وما سيأتي به المستقبل من خير وشر، ولأخذ الأحجبـــة والتعاويذ والبركات من أولئك المتصوفة والمنجمين والعرافين.

وعندما قام الانقلاب الكمالي حرّم الطرق الصوفية، وعاقب كـــل من يتعاطى العرافة والسحر والتنجيم، وحوّل الزوايا والتكايا إلى مدارس مدنية[1].

وقلّص شأن الدين وكل ما يمت إليه، ففصل الدين عـــن الدولـــة، وأحلّ الدستور السويسري المدني بديلاً للشريعة الإسلامية.

*****

(١) انظر: المصدر السابق، ٢١٢.

النازية:

خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى مُثخنة بالجراح في كل ركن من أركانها. فقد تقوضت الملكية وانهار الاقتصاد وكافة البنى الأساسية للحياة الكريمة فيها. ولما أرادت أن تلملم ذاتها من جديد لتنهض على قدميها وتستعيد عافيتها وتوازنها، وجدت أن رؤوس الأموال والتكتلات الاقتصادية تركزت في أيدي اليهود الذين استطاعوا بتنظيماتهم الممتازة وتدابيرهم المدروسة أن يصبحوا القوة الأساسية الضاربة في اقتصاد البلاد، ولم يكن الألمان ليعارضوا هذا، ولكنهم وجدوا أنفسهم شيئاً فشيئاً وقد أصبحت بلادهم في أيدي هؤلاء اليهود،حتى أصبحت ألمانيا تشبه "مستعمرة يهودية وبؤرة لكل المؤسسات اليهودية والصهيونية في العالم، ومكان إعداد للحركات الصهيونية واليهودية العالمية"(١).

وهو ما لم يحتمله الألمان ويتقبلوه، إذ كيف تتحكم أقلية لا تتجاوز نصف مليون شخص في مُقدرات شعب تعداده ستون مليون نسمة(٢) ؟ فكان أن عرضت ألمانيا على اليهود مغادرة البلاد طوعاً من تلقاء أنفسهم، مصطحبين معهم ما يمتلكون من مدخرات(٣)، فقد ضاق بهم الناس، وتنامت مشاعر العداء تجاه هذه الأقلية المتنفذة في شؤون البلاد،

(١) سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي ٨٨/١.
(٢) المصدر السابق ٩٨/١.
(٣) المصدر السابق ٩٨/١.

ليس في الجانب الاقتصادي فحسب، بل تجاوزتها إلى الجوانب السياسية والثقافية والفنية، فأسهمت قوة المال وبريقه بصعود اليهود إلى مراكز غاية في الأهمية في الفن والثقافة والسياسة، كون اليهود أدركوا وبذكاء أهمية سلاح الإعلام[١] وقدرته على تنفيذ وتحقيق أهدافهم.

ولكل هذه الأسباب صعد نجم الحركة النازية المنادية بإعلاء الجنس الآري بصفة أساسية[٢].

- وقد قام أدولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥م) في عشرينيات القرن العشرين[٣] بتأسيس الحزب النازي وهو اختصار لاسم الحزب الكامل: الحزب الوطني الاشتراكي العمالي الألماني[٤].

- و قام هتلر كذلك بطرد الأساتذة ذوي المبادئ الحرة من الجامعات، وكان شديد التعصب للجنس الآري، حتى وصل به الأمر أن زعم أن المسيح عليه السلام ينحدر من هذا الجنس[٥].

---

(١)المصدر السابق، ٨٨/١-٨٩.
(٢) المصدر السابق، ٨٧/١.
(٣) انظر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ١٩٦.
(٤) انظر: سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، ٧٩/١.
(٥) انظر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ١٩٧.

والنازية بهذا المفهوم حركة عنصرية مُخلصة لهذا الجنس الـــذي تراه هو وحده القادر على قيادة البشرية والإنسانية جمعاء، فهي ليســـت مُوجّهة ضد اليهود فقط، بل ضد كل من يُعادي النازية[١].

مع أن اليهود لم يقصّروا في أدبياتهم وادعاءاتهم المتكررة بأن هذه الحركة إنما وُجدت لمحاربتهم والقضاء عليهم هم وحـــدهم مـــن ســـائر الأجناس البشرية، ويؤكد عبد الرحمن بدوي سلامة الجانب الألماني من هذه التهمة في ذلك الوقت، حتى عام ١٩٣٧م على أقل تقدير[٢].

بل إن الكثيرين من العلماء والمستشرقين اليهود "بقوا في ألمانيـــا وظلوا ينشرون مؤلفاتهم، ويواصلون العمل في الجامعات حتـــى ســـنة ١٩٣٩م، لم ينلهم أي أذى"[٣].

مع أنه حدثت بعد ذلك بعض الحوادث ضد اليهود، عندما طفـــح كيل الألمان منهم ومن تسلطهم[٤]، وتزايدت هذه الحوادث والجرائم وقد أصدرت الحركة النازية عام ١٩٣٥م بضعة قوانين لتنظيم شؤون اليهود في ألمانيا[٥]. وقد قامت الحملات النازية ضد كل من يُعادي النازية من اليهود وغيرهم.

---

(١)انظر: سيرة حياتي، ٨٧/١.
(٢)انظر: المصدر السابق، ٨٦/١.
(٣)المصدر السابق ٨٦/١.
(٤)انظر: المصدر السابق ٨٩/١.
(٥)انظر: المصدر السابق ٨٩/١.

"أما ما حدث لليهود في ألمانيا وفي المناطق التي استولت عليها إبان الحرب- فأمر تحكمه ضرورات الحرب، ولا محل له للكلام عنه هاهنا"[١].

فواقعة جرائم النازية حقيقة لاشك فيها، وقد حُوكم كثير من مجرمي الحرب من الحزب النازي في محاكمات علنية مشهودة ومنشورة.

ولكنني أشكك، وأضم صوتي للمشككين، في دقة الأرقام المهولة التي يزعم اليهود بأنها أعداد الضحايا اليهود من قِبل النازيين.

وقد تفنن اليهود بما يمتلكونه من وسائل إعلام جبارة، من ترسيخ صورة اليهود المضطهدين في كافة أدبياتهم وفنونهم في القصص والروايات والبرامج والأفلام ونحوها. وطالبوا ألمانيا بالاعتذارات العلنية والتعويضات المالية الضخمة لما لحق بهم من ملاحقة وتصفية وتعذيب.

- وقد تناول عبد الوهاب المسيري ذات الموضوع كذلك، وتحدث عن الإبادة النازية، ليس ضد اليهود فقط، بل ضدّ غيرهم من الأجناس الأخرى غير الآرية كالسلافيين والغجر.و تحدث عن ملاحقة مجرمي الحرب النازيين، وقضية عدد الضحايا[٢]. وخلص إلى تأكيد أن الصهاينة "وظفوا واقعة الإبادة في خدمة أهدافهم

(١)المصدر السابق ٨٩/١.
(٢)انظر: رحلتي الفكرية، ٥٢١.

الإعلامية، وفي ابتزاز الحكومات في تبرير الغزو والاستيطان والإرهاب[١].

الفاشية:

وكما قامت النازية في ألمانيا بقيادة أدولف هتلر، قامت الفاشية في إيطاليا بقيادة بينيتو موسوليني (١٨٨٣-١٩٤٥م) [٢].

ومعنى كلمة (الفاشية) العِصي التي ترمز إلى السيطرة، ووضع موسوليني لحزبه نظاماً قائماً على التضحية والخشونة[٣].

وقد قاد موسوليني البلاد بيدٍ من حديد، ومنع حرية الجامعات، وألزم الصحافة لإرادته[٤].

وقد عاصر يحيى حقي عهد موسوليني، وحضر أغلب خطبه، إذ إن موسوليني كان إلى جانب استعلائه وعجرفته وشموخه، بارعاً في فن الكلام، وخطيباً مُفوهاً، وكاتباً أيضاً.

---

(١) المصدر السابق، ٥٢١.
(٢)انظر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ١٩٥.
(٣) انظر: المرجع السابق، ١٣٩.
(٤) انظر: المرجع السابق، ١٣٩.

و حضر يحيى حقي خطباً كثيرة لموسوليني، كان يُلقيها على الجماهير المحتشدة من شرفة قصر يُدعى فنسيا[١].

وقد تملكت موسوليني أحلام الزعامة القديمة للإمبراطورية الرومانية البائدة، فأخذ يستولي على كل ما يستطيع من تركة الدولة العثمانية، واحتل بعض جزر البحر المتوسط، ثم امتد نفوذه إلى أفريقية ليشمل ليبيا والصومال وأريتريا والحبشة[٢].

واستعمل هذا الحزب الدكتاتوري صنوف الشدة والإرهاب لتحقيق غاياته، فلا بأس لديه من استعمال الغازات السامة لإخضاع البلاد المحتلة لمخططاته التوسعية، حتى لو كانت بعض هذه البلاد تدين بالمسيحية، كالحبشة مثلاً.

فهناك فرق نوعي بين الأفريقي المسيحي، والأوروبي المسيحي[٣].

"وقد أوحى موسوليني إلى الإيطاليين أن المستقبل لإيطاليا، ولا أنسى سيدة إيطالية قالت لي: أنتم المصريون لابد أن يكون لديكم وطنية

(١) انظر: ذكريات مطوية، يحيى حقي، ١١١.
(٢) انظر: المصدر السابق١٠٦.
(٣)انظر: المصدر السابق، ١١٠.

وشجاعة وشهامة، اطردوا الإنجليز من بلادكم؛ لنأتي نحن ونحكم مصر!!. لهذه الدرجة اختل عقل الإيطاليين"[١].

******

وحال قيام الحرب العالمية الثانية انضمت إيطاليا إلى ألمانيا واليابان، فيما عُرف بدول المحور ضد دول الحلفاء، إنجلترا وفرنسا وروسيا.

وكانت الغلبة في بداية الحرب لدول المحور، ولكن الأوضاع انقلبت رأساً على عقب بعد انضمام القوة الجديدة الرابضة على حدود المحيط الأطلسي: الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد انضمامها إلى دول الحلفاء، وفي يونيو ١٩٤٤م قامت أكبر عملية مشتركة في تاريخ أوروبا حين قادت الولايات المتحدة جيش الحلفاء لتحرير البر الأوروبي من المدّ الألماني[٢]، وانهزمت دول المحور هزيمة ساحقة، وانتهت الحرب بسقوط برلين واستسلام اليابان.

و انتهى موسوليني نهاية مأساوية على يد أتباعه الذين قتلوه بالرصاص مع عشيقته كلارا، وعُلقت جثتاهما رأساً على عقب[٣] في مشهدٍ مؤثر وباقٍ في ذاكرة العالم.

---

(١)المصدر السابق، ١١٢.
(٢) انظر: تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ١٤٤.
(٣) انظر: ذكريات مطوية، ١٢٤.